

## الفلسفة النقدية لكانط

### طبيعتها وتطبيقاتها

الدكتورة / حنان علي عواضة

جامعة بغداد / كلية الآداب / قسم الفلسفة

hanan.awada12@yahoo.com

### الملخص

يتناول هذا البحث " الفلسفة النقدية " للفيلسوف الألماني عمانوئيل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) ، فقد نقد المعرفة الميتافيزيقية بقضاياها الثلاث : الله ، النفس ، العالم ، في كتابه " نقد العقل المحض " . أكد كانط في فلسفته على المعرفة العقلية والتجريبية ، واستخدم العقل من أجل إيجاد " ميتافيزيقا علمية " بدلاً من الميتافيزيقا التقليدية . وجاء نقده لميتافيزيقا الأخلاق بما يتلائم مع نزعتة العقلية . واختلف مع النظريات القديمة في فكرة الخير والسعادة ، وأكد على فكرة "الواجب" ، وبذلك يكون قد أحدث ثورة في مجال الأخلاق . أوضح أفكاره الأخلاقية في كتابه "نقد العقل العملي" . لم تكتمل دائرة النقد عنده إلا عندما نقد الحكم الجمالي في كتابه " نقد ملكة الحكم " ، أراد كانط إخضاع الحكم النقدي للجمال لمبادئ عقلية ، وأيضاً الوصول بالحكم الجمالي إلى مرتبة العلم . والحس الجمالي عنده يوجد قبلياً ، وإنه يعتمد في الحكم على الإنسجام بين الإدراك والخيال ، وعنه ينتج الشعور باللذة . إن المنهج النقدي الذي اتبعه كانط كان له أثر كبير على الفلسفة إلى يومنا هذا .

### Abstract

This paper deals with "critical philosophy" of the German philosopher Immanuel Kant (1724 - 1804), the criticism of metaphysical knowledge problems three: God, self, world, in his book "Critique of pure reason." Kant said in his philosophy on rational knowledge and experimental, and use the mind to find a "scientific metaphysics" instead of traditional metaphysics. The critique of the metaphysics of ethics in line with the tendency of mental philosophy. He disagree with the idea of the old theories of good and happiness, and stressed the idea of "duty", and thus have revolutionized the field of ethics. Explained his ideas of moral in his book "Critique of Practical Reason." Circle is

not complete only when cash has aesthetic judgment criticism in his book "Cash Queen of governance", Kant wanted to subject monetary judgment for the beauty of the principles of mentality, and also access to the status of the aesthetic judgment of science. Aesthetic sense and have no a priori, and it depends on the rule of harmony between perception and imagination, and it produces a sense of pleasure. The critical approach taken by Kant has had a significant impact on the philosophy to this day.

## تمهيد :

يتناول هذا البحث " الفلسفة النقدية " للفيلسوف الألماني عمانوئيل كانط ( ١٧٢٤ - ١٨٠٤ ) ، إذ أنه عبر عن روح علمية فلسفية .. وأنه نقد المعرفة الميتافيزيقا للقضايا الثلاثة الأساسية : الله ، العالم ، والنفس في كتابيه " نقد العقل المحض " و " نقد العقل العملي " ، لأن مثل هذه الموضوعات ذات أسس ميتافيزيقية .

يصف كانط منهجه النقدي بالثورة الكوبرنيكية (١) في الفلسفة إذ جاء بأراء جديدة في نظرية المعرفة والعلم عموماً ، وبالأخص ما يترتب على موقفه من الميتافيزيقا ، إذ أنكر الفكرة التقليدية عن الميتافيزيقا ، فقد كان يرى أن الميتافيزيقا منذ أرسطو معرفة تأملية وأنها مستحيلة .

إن المسألة الأساس في فلسفة كانط هي تأكيده على سمو العقل ، وبهذا كان " نقد العقل المحض " أن يتبنى منهج وحدة المعرفة العقلية لموضوعات ما فوق الحس . وينقده أراد أن يقدم أداة أو وسيلة للقضاء على الأخطاء التي عرقلت الميتافيزيقا عن التقدم . وكانت نظريته في كتابه " نقد العقل المحض " تتضمن الموضوعات الثلاثة : الله ، الحرية ، الإرادة ، خلود النفس .

ورأى أن الميتافيزيقا نزعة طبيعية لدى البشر ، ولكن الميتافيزيقيين أنفسهم أساءوا فهم مشاكلهم ، ولم يقدموا ميتافيزيقا حقيقية.

وعلى أية حال ، فإننا كلما بحثنا في فلسفته نجده يؤكد على التجربة والعلم التجريبي وتأثره بنيوتن وكوبرنيكوس ، وفي الوقت نفسه هو من أبرز الفلاسفة العقليين ، وعلى هذا أراد أن يستخدم العقل من أجل إيجاد " ميتافيزيقا علمية " بدلاً من " الميتافيزيقا التقليدية " التي ظهرت منذ أرسطو .

لقد غطى كانط كل فلسفته بمنهجه النقدي ، واعتبر أية فكرة أو فلسفة لا بد أن توضع تحت اختبار النقد لبيان تناقضها وأخطائها وبعدها يشيد ببناءً جديداً سواء في نظرية المعرفة أو في الأخلاق أو في الجمال .

## طبيعة الفلسفة النقدية عند كانط :

استخدم كانط النقد من أجل تمحيص الأفكار والتدقيق فيها من خلال الملاحظة والإطلاع الشامل على كل جوانبها ، وذلك من أجل إدراك الغامض من الأفكار وإظهار التناقض الذي تحتويه . وقام بتحليل قضايا المعرفة للأفكار أو النظريات التي يتناولها ليكشف ما فيها من صواب أو خطأ . ويبدو أن كانط كان مدفوعاً لنقد الظروف التاريخية التي تمر بها أوروبا في جميع الميادين منها السياسية والاجتماعية ... وقد تجسد نقده في كتبه الرئيسية : نقد العقل المحض، ونقد العقل العملي ، ونقد ملكة الحكم .

كان كانط الفيلسوف الذي لا يتقبل ما جاء في الفلسفات القديمة والمعاصرة له .. فكان يبحث فيها وينقدها ومن خلال ذلك يتبين مواطن الضعف والتناقض فيها .

وإذا كان القبول بالأفكار المطروحة هو نوع من السكون والإستسلام فإن كانط رفض هذا النهج وسار في سبيل النقد في أشهر كتبه وهي النقود الثلاثة Three critiques . إن الناقد شاك قبل كل شيء ، فالشاك ناقد مستمر في نقده ، لذلك فهو لا يقف عند حد في نقده ، وبطبيعة الحال فإن الناقد شاك يرفض بعض الأفكار ويسلم بالأخرى . وعلى الرغم من شهرة كانط في الفلسفة النقدية critical Philosophy فإن ذلك لا يعني أنه ابتكر النقد أو فلسفة النقد ، بل كان قبله كثير من الفلاسفة والأدباء والفنانين وغيرهم ، لا سيما في القرن الثامن عشر الذي امتاز بروح نقدية .. وكانط يختلف عنهم في كونه قد تعمق في نقده وتوسع وأراد أن يغطي جميع الجوانب الفلسفية فتناول العقل والأخلاق والجمال والسياسة ... بالنقد ، وكل جانب خصص له بحثاً خاصاً به .

استخدم كانط نقده أبلغ استخدام في توضيح مشكلة المعرفة ، لذلك تناول العقل وأقام له محكمة تحاسبه الحساب العسير على أعماله وادعاءاته في معرفة عالم ما وراء الطبيعة وغيرها .. فإذا كانت أية فكرة ضمن إمكانيات العقل قبلها ، والعكس إذا وجد أن العقل عاجز عن معرفة جانب معين رفضه كالميتافيزيقا التقليدية ، وقد استخدم هذا النهج في جميع أبحاثه التي تمثلت في المرحلة النقدية لديه . " يجب على العقل أن يخضع للنقد ، في كل مشاريعه ... وليس هناك أي شيء مهم جداً من حيث الفائدة ولا أي شيء مقدس جداً يمكن أن يعفى من هذا الفحص المتعمق والدقيق الذي لا يهاب أحد .. " (٢) " ويمكن عد النقد المحض بمثابة المحكمة الحقيقية لكل نزاعاته ، لأنه ليس معنياً في النزاعات من حيث تدور على الموضوعات مباشرة ، بل أنه مهياً لتعيين حقوق العقل بعامة والحكم عليها وفقاً لمبادئه دستوره الأول . ومن دون هذا النقد سيبقى العقل في نوع من حال الطبيعة ، ولن يمكنه أن يجعل مزاعمه وأقواله مصدقة أو موثوقة " . (٣)

وبعد أن نقد كانط العقل في نظرية المعرفة ، إطمئن على منهجه الجديد وهو " النقد " ، فأخذ يطبقه على الأخلاق ومشكلة الجمال ، وبالتالي فإنه غطى كل جوانب الفلسفة - في عصره - بمنهجه النقدي ، لهذا سميت فلسفته كلها " بالفلسفة النقدية " ، وأصبحت هذه الصفة تطلق على فلسفته كلها . نقد كانط كل شيء في المرحلة الفاصلة في حياته والتي تسمى المرحلة النقدية إذ سبق ذلك بطرح أفكاره دون استخدام منهج النقد وذلك قبل عام ١٧٧٠ .

ظهرت فلسفة كانط النقدية ما بين ١٧٧٠ و ١٧٨٠ ، ظهرت معالمها ومنهجها الخاص ، وإنها لم تظهر بوضوح إلا من خلال الآراء المتناقضة والمتعارضة ، فقد حاور في كتبه الآراء المختلفة ، ويعد " نقد العقل المحض " الركيزة الأساس لفلسفته النقدية ، إذ يشتمل على أصولها ومنهجها ، وكل ما كتبه بعد ذلك كان يسير على منهجه . ومما يجدر ذكره أن كانط وضع فلسفته النقدية في السنين الأخيرة من حياته كانت هي الأساس لما يعرف بالفلسفة النقدية الكانطية . ولم تتوقف الفلسفة النقدية بعد وفاة كانط إذ

ظهرت مدارس عديدة ، بعضها كان مدافعاً على أفكاره ، وبعضها الآخر كانت متعارضة معه ، وسميت هذه المدارس المتأثرة بكانط بـ " الكانطية الجديدة" . (٤)

### التطور التاريخي للنقد عند كانط :

ظهر النقد نتيجة تطور تاريخي ، على أساس أن العقل أول ما يبدأ بالدمجماطيقية Dogmatism ، وثم الشكبة Scepticism ، ويصل العقل بعد ذلك إلى مرحلة النضج أي الوصول إلى النقد Criticism ، والنقد حكم ناضج يقوم به العقل .

١- **الدمجماطيقية** : تمثل طفولة العقل - حسب كانط - وثقة كاملة بالمبادئ ، دون نقد مسبق ، وتشمل الدمجماطيقية ( الجمود العقائدي ) التجريبية والعقلية ، أي أن كليهما مرّ بمرحلة الجمود ، لاسيما موقفهما من الميتافيزيقيا ، ويرى كانط أن ووالف Wolf (١٦٧٩ - ١٧٥٤ ) أبرز ممثل للدمجماطيقية . وهكذا تؤمن كثير من المدارس الفلسفية بقضايا معينة دون تعقب العقل ونقده .

٢- **النزعة الشكبة** : يرى كانط أن هؤلاء " الشكاك " يشبهون البدو الرحل لا يستقرون على موقف أو مبدأ .. وكانط نفسه قد مرّ بهذه المراحل .. إلا أن دفيد هيوم قد أيقظه من دمجماطيقيته ودفعه إلى الشك ، لأن هيوم من أكثر المفكرين ارتياحية . وتعد الشكبة ذات أهمية كبيرة عند كانط بالقياس إلى الدمجماطيقية لأنها تكمن في رقابة العقل ، وهذه الرقابة تؤدي إلى الشك . (٥)

وهيوم هو الذي جعله يفكر أن الميتافيزيقيا لا تستمد مبادئها من التجربة الخارجية كالطبيعة ولا من التجربة الباطنية كعلم النفس ، بل هي معرفة " قبلية " مستمدة من الذهن المحض أو العقل المحض ، ولا تستمد إلا عن طريق سابق للتجربة . (٦)

وعلى الرغم من أهمية المرحلة الشكبة إلا أنها لا تُرضي العقل ، لأنها ليست سوى رقابة سلبية على العقل ، إنها رقابة على العقل ولكنها ليست نقداً للعقل .

والشكبة في رأي كانط أظهرت سلبية ادعاءات الدمجماطيقية ، إلا أنها لم تستطع مواصلة الدرب للنهاية ، أما الطريق الذي يمكن الوصول إليه هو نقد العقل . إن هدف الشكبة المذهبية هو إثبات تهافت المعرفة وقصورها ، في حين الشكبة المنهجية تهدف للوصول إلى اليقين تحت رقابة العقل .

٣- **النقد** : يتمثل في عقد محكمة للعقل الخالص ( المحض ) للانتقال من الشك إلى العلم ، وإقامة

البرهان على صحة الأحكام التي يصورها الفيلسوف او العالم ، والبرهان يقصد به الكشف عن الأسس أو المبادئ الأولية التي تستند عليها تلك الأفكار . والطريقة النقدية هي تحليل الأفكار وتعقبها . (٧) لا سيما نقد الميتافيزيقيا إذ كان كانط يهدف إلى إيجاد أسس علمية لها ، في حين أن العلم لا يستدعي النقد لأنه وصل إلى مرحلة وضع فيها المنهج والقوانين على أسس قوية ... أما الميتافيزيقيا فإنها تستدعي النقد لأنها ليست علم .. لذلك أراد كانط إيجاد ميتافيزيقيا باعتبارها " علم " .

ويرى كانط أيضاً " أن الميتافيزيقا التي تريد أن تكون علماً هي التي تستند إلى نقد العقل ، الذي يحدد الحدود التي لا ينبغي للعقل أن يتجاوزها ، والذي يخضع للنقد يعتمد على تصورات قبلية يردّها إلى مصادرها الثلاثة هي : الحساسة ، والذهن ، والعقل " . (٨)

تطبيقات الفلسفة النقدية لكانط :

أولاً : نقد نظرية المعرفة .

ثانياً : نقد ميتافيزيقا الأخلاق .

ثالثاً : نقد الحكم الجمالي .

أولاً : نقد نظرية المعرفة :

أ. نقد المعرفة الميتافيزيقية :

أكد كانط أن المعرفة مقصورة على عالم الحس والتجربة ، وإن ما وراء الواقع لا سبيل إلى كشفه ، لذلك أعلن استحالة الميتافيزيقا .

لقد كتب كانط كتاباً في الميتافيزيقا قبل المرحلة النقدية وهي الفترة الشكية وهذا الكتاب هو : " أحلام صاحب رؤى مفسرة في ضوء أحلام الميتافيزيقا " ١٧٦٦ . وفي هذا الكتاب يسخر من الميتافيزيقيين لأنهم يقيمون عوالم فكرية معلقة في الهواء لا ترتبط بعالم الواقع . ورأى أن الميتافيزيقا ليست بذات نفع عملي . وهكذا شك كانط بإمكان قيام الميتافيزيقا بمعناها القديم بوصفها علماً قليلاً . ولكن ليس معنى هذا أنه شك في كل الميتافيزيقا أو يريد استبعادها كلها . ونظر إلى الميتافيزيقا عندما انتقل إلى مرحلة النقد على أنها وظيفة للذهن مستقلة عن التجربة .

" لقد أراد أن يبين من جديد مذهباً ميتافيزيقياً ، بأن يوضح الأسباب والعوامل التي أفضت بالميتافيزيقا القديمة إلى الإنحلال ، فالميتافيزيقا عنده نزوع طبيعي للعقل البشري " . (١٠)

وإنها حتى لو لم تتحقق من حيث هي علم ، فإنها متحققة من حيث هي استعداد طبيعي . وعدم الإرتداد إلى تلك الأسئلة التي تدعوا إلى استعمال تجريبي للعقل . (٩)

يميل الناس إلى الإعتقاد أن معرفة الكون وطبيعته وتاريخه معرفة كاملة ممكنة من حيث المبدأ . على الرغم من أن الناس يدركون أن معرفتهم بالكون جزئية ومحدودة ، أنهم يطمحون إلى معرفة تامة بكل شيء . (١١)

والميتافيزيقي شخص مفكر يقع تحت سلطان فكرة الكمال . فلا يسعى إلى إيجاد تفسير لهذا الشيء أو ذلك ، بل للأشياء كلها ، وهو لا يبغى معرفة طبيعة بعض الأشياء بل الأشياء كلها ، ولا يصب اهتمامه على الأمكنة والأزمنة الخاصة ، بل على المكان كله وعلى الزمان كله . (١٢)

" إذ أننا كائنات بشرية ، ونقتصر معرفتنا وإدراكنا على ميدان الخبرة البشرية الممكنة ، ولكننا إذا حاولنا أن نتخطى حدودها ، فإننا بالضرورة لا نفهم شيئاً مما نقوله أبداً .. " . (١٣)

يرى كانط أن كل الميتافيزيقا التي ظهرت منذ أفلاطون إلى زمانه باطلة وغير متحققة ، ولا يشك أحداً بذلك . (١٤) " ولا يمكن القول ، عن أي ميتافيزيقا عرضت حتى الآن ، أنها متحققة من حيث غايتها الجوهرية ، مما يسمح لكل واحد أن يشك ، بقوة في إمكانها " (١٥)

ناقش كانط قضايا الميتافيزيقا الرئيسية وبين تناقضاتها وتهاافتها . فهو عميق في تحليله ، يحيط بالمسألة من جميع وجوهها ويسد على خصمه كل منفذ . إنه بحث في الميتافيزيقا بشغف ورغبة كبيرين في بداية حياته العلمية . وقد لاحظ أن هناك جهود كبيرة بذلت في دراسة مسائلها وموضوعاتها المعقدة والتي فشلت في بيان حقائقها . " إن كل ما نسميه ميتافيزيقا لا يؤدي بنا .. إلا إلى مجرد توهم لرؤية عقلية مزعومة لما أستعير في الواقع من التجربة فقط ... " . (١٦)

لذلك وصف كانط الميتافيزيقا بأنها كالمحيط المظلم الذي لا شاطئ له ولا فنار تحطمت بين أمواجه نظم فلسفية عدة ، وعلى الرغم من ذلك أنه كان يغامر في البحث في مسائل الميتافيزيقا الغامضة ، محاولاً أن يقيم البحث الميتافيزيقي على أسس صحيحة . وقد اتبع طريقان ، الأول : سلبي هو نقد ما في الميتافيزيقا القديمة من أخطاء ، والثاني : إيجابي هدفه تقويم الميتافيزيقا أو رسم منهج قويم للميتافيزيقا الجديدة والعلمية التي يريد أن يؤسسها . (١٧)

لقد ذكرنا سابقاً أن نقد كانط تركز على ثلاثة قضايا : الله ، النفس ، العالم . ويرى من المستحيل حل هذه القضايا بالطرق المتبعة أو التقليدية التي جاء بها أفلاطون وغيره من الفلاسفة الميتافيزيقيين . فهذا أفلاطون الذي لم يتقدم خطوة واحدة إلى الأمام ، لأنه لم يعتمد على أساس ثابت يسمح له بتغيير اتجاه تفكيره . وقد حكم كانط على أن الميتافيزيقا التقليدية مستحيلة التحقق ، بينما هناك ميتافيزيقا أخرى ممكنة ألا وهي : " الميتافيزيقا النقدية " . " أما أولئك الذين يفخرون بمعارف رفيعة من هذا القبيل ، فعليهم ألا يبخلوا بها ، بل أن يعرضوها علناً للفحص والتقدير . هم يريدون تقديم برهان ؛ هيا ! فاليأتوا بالبرهان إذاً وسيلقي النقد بجميع أسلحته أمام أقدامهم باعتبارهم منتصرين " . (١٨) ويعذر كانط هؤلاء الميتافيزيقيين ، لأن الإنسان " مفطور بطبيعته " إلى الكشف عن الغامض ، ولا يكاد ينتهي من قضية حتى ينتقل إلى قضية أخرى. (١٩)

يسأل كانط : هل الميتافيزيقا ممكنة بوصفها نزوعاً طبيعياً في الإنسان ؟

نظر كانط إلى الميتافيزيقا على أنها أخفقت حتى الآن في محاولاتها ، إلا أنها مع ذلك ، ضرورية تماماً لطبيعة العقل البشري . (٢٠)

صحيح أن الميتافيزيقا نزعة طبيعية في الإنسان إلا أن ذلك غير كافٍ لإثبات أنها ممكنة بوصفها علماً ، لأننا إذا تركناها دون تنمية فإن ذلك يؤدي إلى الوقوع في السفسطة . فلكي نقيم دعائم

ميتافيزيقا علمية لا بد من تطبيق منهج النقد لكي تكون كعلم الكيمياء بالنسبة للسيمياء ، وكعلم الفلك بالنسبة للتنجيم . (٢١)

كذلك يرى أن في " الميتافيزيقا يجب أن يكون ثمة معارف تأليفية قبلية ، وحتى إن لم نشأ أن ننظر إليها بوصفها مجرد إزماع بالعلم حتى الآن ، وذلك أن طبيعة العقل البشري تجعله لا غنى عنها ، وإن عمله لا يقتصر البتة على مجرد تحليل الأفاهيم التي نكونها قبلياً عن الأشياء، ولا على شرحها تحليلياً بالتالي ، بل إننا نريد أن نوسع معرفتنا قبلياً " . (٢٢)

أصبح من الواضح أن كانط لا يهدف إلى تحطيم الميتافيزيقا على الإطلاق ، بل أراد هدم نوع معين من الميتافيزيقا ليحل محله ميتافيزيقا أخرى .

لقد بحث كانط في ثلاث قضايا أساسية متعلقة تماماً بالدين وهي : وجود الله ، وخلود النفس ، والعالم . وكان نقده منصّباً على محاولات المفكرين الذين حملوا العقل ما لا يطيق ، لهذا فإن نقض الأدلة على وجود الله والنفس والعالم لا يدل على إنكارها من قبل كانط ، لأنه يرى أنه إذا استحال على العقل معرفتها فالعاطفة هي السبيل إليها أي المعرفة القبلية . (٢٣)

أراد كانط أن يلتزم للميتافيزيقا طريقة للبحث يجعلها علماً على غرار علمي الرياضيات والطبيعة ، وهو يقول بصراحة أنه يدرس الميتافيزيقا بوضع منهج لفهمها وليس وضع مذهب في مادة العلم نفسه . وجد كانط أن الرياضيات قامت على أساس متين منذ اليونان ، وعلم الطبيعة كذلك قام على أساس سليم منذ جاليليو في عهد النهضة الأوروبية ، فماذا صنع اليونان للرياضة ؟ وماذا صنع جاليليو لعلم الطبيعة ؟

أما الرياضة فقد كشف اليونان لها عن طريق التقدم العلمي ، عالجهما على أساس فروض افتراضوها ، ثم حاولوا أن يستنبطوا منها كل ما يمكن استنباطه من نتائج .. وفي علم الطبيعة حين أراد جاليليو أن يرسى قواعد على أسس متينة ، وجد أن طريق التقدم العلمي واضحاً، ففرض الفروض ثم التفكير في التجارب التي تثبتها . (٢٤)

فما على الميتافيزيقي - حسب رأى كانط - إلا يقتفي طرق علماء الرياضة والطبيعة بأن يفرض الفروض ، بطريقة منظمة ومنسقة من أجل الحصول على النتائج . لكن الميتافيزيقا لم يواتيها الحظ بعد ، لتبدأ سيرها في طريق العلم ، فالباحثين في الميتافيزيقا أبعد ما يكونون عن طريق العلم ، مما يجعلها تتخبط بصورة عشوائية . (٢٥)

الميتافيزيقا ذات موضوعات مطلقة ، لا مشروطة ، مثل الله الحرية والخلود . أنها ذات طابع مفارق ، إلى جانب نقص المعطيات العيانية ، يجعل مطلب الميتافيزيقا في معرفة تأملية مطلباً مستحيلًا . يقول كانط : " ليس للميتافيزيقا من غاية خاصة لأبحاثها إلا الأفكار الثلاث : الله، والحرية ، والخلود ، بحيث أن على المفهوم الثاني أن يؤدي إذا ما ربط بالأول ، إلى الثالث كخلاصة ضرورية .. " . (٢٦)

في حين أن كلاً من الرياضيات الخالصة والعلم الطبيعي الخالص لا يعني بوجود أسس مفارقة عن نطاق التجربة ، أن بحثها يقتصر على شروط التجربة الممكنة . (٢٧)  
ب. نقد مصدر المعرفة :

اختلف الفلاسفة قبل كانط في مصدر المعرفة ، فمنهم رد مصدر المعرفة إلى العقل ، وبعض الفلاسفة أرجع مصدر المعرفة إلى التجربة ، وآخرين قالوا بالحدس هو مصدر المعرفة ، جاء كانط ورأى أن مصدر المعرفة هو العقل والتجربة .

وفي نظريته المعرفية يعتقد كانط بالتجربة اعتداداً كبيراً ، متأثراً " بنيوتن " في دراساته الطبيعية القائمة على التجارب العلمية ، على الرغم من أن التجريبيين لم يردوا كل المعرفة العلمية إلى عالم التجربة . لكنه رفض رأي الذين يقولون بالتجربة فحسب " لقد تحدى كانط في البداية ما ذهب إليه لوك والمدرسة الإنجليزية : فقال بأن المعرفة ليست مستمدة كلها من الحواس كما ذكر لوك والمدرسة الإنجليزية " (٢٨) يرى كانط أن التجربة أصل المعرفة ، أي أن الإحساسات هي التي تنقل المعرفة الأولية إلى العقل ، والعقل يقوم بتنظيمها في عملية الإدراك . (٢٩) ويقول : " إن التجربة هي معرفة بالأشياء من خلال الإدراكات " . (٣٠)

ويؤكد كانط أن كل معرفتنا تبدأ بالتجربة ، لأننا لا نستطيع أن نقوم بأي عمل إن لم يتم ذلك من خلال موضوعات تصدم حواسنا ، فتؤدي إلى حدوث التصورات تلقائياً هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإنها تحرك نشاط الفهم لدينا ، إلى مقارنتها وربطها أو فصلها ، وبالتالي تتحول جميع الانطباعات الحسية إلى معرفة بالموضوعات التي تسمى التجربة " . (٣١) لهذا إذا كانت المعرفة الحقيقية نابعة من التجربة فإنها - كما أشرنا - لا تعتمد فقط على التجربة الحسية لأن هناك - في رأي كانط أفكار قبلية فطرية لا تنبثق من التجربة .

إلا أن كانط في مكان آخر إتفق مع التجريبيين ومنهم هيوم على أن كل معارفنا تبدأ بالتجربة ، لكنه أضاف شيئاً جديداً وهو أنه من " الواجب التمييز بين ما ينتج المعرفة بالفعل ، والصورة التي تتخذها تلك المعرفة . وعلى ذلك ، فعلى الرغم من أن المعرفة تنشأ عن طريق التجربة ، فإنها لا تستمد منها وحدها " . (٣٢) وبطبيعة الحال يقصد فضلاً عن التجربة فإن المعرفة لا تتم إلا بالتجربة والعقل .

وضح ول ديورانت فكرة القول ما قبل التجربة عند كانط إذ يقول " لن نعتقد أو نصدق طيلة حياتنا بأن إثنين زائد إثنين يمكن أن يسفر عن عدد غير الأربعة إن مثل هذه الحقائق حقيقية قبل التجربة ولكن من أين نحصل على هذه الحقائق المطلقة والضرورة ؟ " . (٣٣) إن هذه الحقائق ليست بالضرورة من التجربة ، فالتجربة لا تعطينا إلا أحاسيس وحوادث منفصلة تتغير في تعاقبها في المستقبل . (٣٤)

" إن هذه الحقائق تستمد نوعها الضروري من تركيب عقولنا الفطري ، من الطريقة الطبيعية الحتمية التي يجب أن نعمل عليها عقولنا . لأن عقل الإنسان ليس لوحاً جامداً من الشمع تكتب عليه

الأحاسيس ، والتجربة إرادتها المطلقة والمتقلبة وليس سلسلة من الحالات العقلية . إنه عضو نشيط يسبك وينسق الأحاسيس إلى أفكار ، عضو يحول ضروب التجربة الكثيرة والمشوشة وغير المنظمة إلى وحدة من الفكر المنظم المرتب " . ( ٣٥ )

والميتافيزيقا عاجزة عن تقديم أي حقيقة عن قضايا : الله ، والنفس ، والعالم . والمعرفة تتطلب عمل ذهني يجمع الأفكار المتفرقة لتصبح قضايا علمية تتم عن طريق الإدراك الحسي أولاً . والعمل الذهني بما يستخدم من مقولات ، وأفكار سامية شاملة . يقول كانط : "يؤدي نقد العقل إذن ، في النهاية وبالضرورة إلى علم . أما استعماله الدجماطيقي فيؤدي بالمقابل إلى مزاعم لا أساس لها ، يمكن أن نعارضها بأخرى ... " . ( ٣٦ )

ولا يمكن تأسيس علم إلا بتعاون التجربة الحسية والإدراك العقلي التي تؤدي إلى المعرفة الصحيحة . وهنا فإن كانط كان تجريبياً وعقلياً ، وعلى الرغم من أنه عقلي إلا أنه رفض العقليين الذين يعطون العقل أكثر من طاقته فيقعون في الأخطاء والمغالطات . ( ٣٧ )  
وعلى العموم فإن كانط يرى " أن كل معارفنا تبدأ بالحواس ثم تنتقل إلى المفاهيم ومن ثم إلى العقل " . ( ٣٨ )

### ثانياً : نقد ميتافيزيقا الأخلاق :

اتبع كانط مناقشته للمشكلة الأخلاقية بما يتلائم مع نزعتة العقلية وفلسفته النقدية . لم يوافق على ما جاءت به الأخلاق اليونانية ولا الأخلاق المسيحية ، لذا قام بالبحث في طبيعة الأخلاق بعد نقاش ونقد الأخلاق عند الآخرين ، وقد أظهر لنا نظرية أخلاقية عقلية . وفكرة كانط الرئيسية في الأخلاق ظهرت في كتابه النقدي الثاني " نقد العقل العملي " الذي يشبه " نقد العقل المحض " ، بل أنه من حيث المضمون تنمة مباشرة للكتاب النقدي الأول .

اختلف كانط مع النظريات الأخلاقية ، التي ترى أن فكرة الخير هي دعامة الأخلاق ، في حين أنه اعتبر الأخلاق هي " فكرة الواجب " . وهكذا أحدث كانط ثورة في مجال الأخلاق . إن التحدث عن الأخلاق عنده تعني " نظرية الواجب " ، إذ يرى أن الواجب هو ما أملاه العقل .

وفي البداية كان متأثراً بالنظريات الأخلاقية والاجتماعية ... لدى روسو ( ٣٩ ) الذي نادى بالعودة إلى الطبيعة أو الفطرة ، ( ٤٠ ) لتخليص الإنسان من التأثيرات السلبية للحضارة وخذاعها وشروطها . إلا أن كانط لم يأخذ بهذا الرأي أو غيره بل تناول النظريات الأخلاقية بالنقد . ونظريته الأخلاقية ظهرت بعد ظهور كتابه " نقد العقل المحض " بعدة أعوام . وما أن استقر على منهجه الجديد "المنهج النقدي" حتى رفض تلك النظريات الأخلاقية التي كان يميل إليها . أخذ ينادي بنظرية جديدة

تفصل الدين عن الأخلاق وتوفق بين الأخلاق والعلم . فهو يريد إيجاد أخلاق لا تستند على دعامة خارجية . وقد أوضح ذلك في كتابه " تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق " .

نقد كانط أفكار الميتافيزيقيين في الأخلاق كفكرة الخير والسعادة ، لأنهم لم يتوصلوا إلى نتائج مرضية . وأفضل دراسة للأخلاق هي الرجوع إلى الأفكار الداريجة المألوفة ، لإختيار ما بينها من مادة البحث ، ومن بين تلك الأفكار الداريجة هناك حقيقة سامية وكاملة وهي " إرادة الخير " . لأنه لا يمكن أن يصدر عنها إلا الخير . وهي مقدسة لذاتها ، لا لغاية ترمي إليها . (٤١) وعليه فإنه يؤمن بالأخلاق المطلقة الثابتة " إن كل إنسان لا بد أن يسلم بأن قانوناً يراد له أن يكون قانوناً أخلاقياً ، أعني قاعدة إلترام ، لابد أن يحمل الضرورة المطلقة " . (٤٢)

ويقول كانط رداً على هؤلاء الميتافيزيقيين في كتابه نقد العقل المحض : " راح هؤلاء يبحثون عن موضوع للإرادة كي يجعلوا منه مادة وأساس قانون ... في حين كان عليهم ان يبحثوا أولاً عن قانون يعين الإرادة قبلياً ومباشرة ، وبعد ذلك فقط يعين الموضوع الملائم للإرادة". (٤٣)

ربط كانط الإرادة بفكرة الواجب ، فكان يرى أننا لو نؤدي ما يصدر من عقولنا فقط لما ساءت أعمالنا ولا اضطرب سلوكنا ، ولكن هناك في الإنسان إلى جانب العقل الميول والأهواء . فالإنسان يكون حراً عندما لا يتبع غرائزه ودوافعه ، بل قانون عقله ، حتى أن الحرية تدعو إلى المطابقة مع القانون ، هذا إذا كانت الحرية لا تقوم على الخيار بين السعادة والقانون ، بل على الإستقلال الذاتي للعقل . (٤٤)

" إن مفهوم الحرية ، باعتبار أنه تم البرهان على حقيقته بقانون ضروري للعقل العملي ، إنما يشكل الآن حجر الغلق في بناء منظومة العقل المحض بكاملها ، حتى التألمي ، وكافة المفاهيم الأخرى ( مفهوم الله والخلود ) التي تبقى فيها مجرد أفكار من دون قوام ، أما الآن فهي تتصل به وتتال معه وبه قواماً وحقيقة موضوعية ، أي إن إمكانيتها قد حصلت على برهان بأن الحرية هي حقيقة ، لأن هذه الفكرة تتجلى عبر القانون الأخلاقي " . (٤٥)

والإرادة الخيرة هي التي تلبى النداء الأول وهو العقل وتبعد عن الأهواء . ونداء العقل هو نداء الواجب ، وأمره هو الذي يجب أن يطاع ، فالإرادة الخيرة والواجب متلازمان ، والسلوك الصالح والعقل مرتبطان . والواجب هو العلاج لكثير من التردد والحيرة ، وليس في نداء الواجب خداع ، وكل ما يهدف إليه الواجب هو الفصل في كثير من المعضلات ، ليس فيه خداع ، وكل ما يهدف إليه هو توجيه النفس إلى الخير .

" إن الأفعال الإنسانية لا تكون خيراً لأنها صدرت عن ميل مباشر ، أو دفعت إليها رغبة في تحقيق مصلحة شخصية ، بل تكون خيراً لأنها صدرت من أجل الواجب " . (٤٦)

إن الأفعال المطابقة للواجب هي الأخلاق الصحيحة ، وعكس ذلك إذا كان الفعل نتيجة لمصلحة أو فائدة فهو عمل لا يمت إلى الواجب الأخلاقي بصلة يأتي كانط بمثال لفكرة الواجب المنزهة عن

المنفعة الشخصية ، والتي لا تتبثق من الواجب الخلاقي .. فيرى أنه من المفترض أن التاجر لا يرفع من السعر على الإنسان غير المجرب أو الطفل الذي لا يعرف الأسعار ، ويحافظ على سعر ثابت للجميع ، فالإنسان هنا يعامل بأمانة .. لكن هذا لا يكفي على الإطلاق إذا كان التاجر قد صدر في مسلكه هذا على أن مصلحته قد اقتضت ذلك ، وليس عن إيمان "بالواجب" وبمبادئ الأمانة ، فإن مثل هذا العمل لا ينبع من ذات التاجر بل من مصلحته .. إنما الفعل الخلاقي هو الذي ينبع من " الواجب " الذي يشعر به . (٤٧)

" وهكذا يبدو أن الإرادة الخيرة هي الشرط الذي لا غنى عنه لكي يكون الإنسان خليقاً بالسعادة " . ( ٤٨ ) يجب أن يكون سلوك الإنسان نابع من تمسكه بالواجب أو بمبادئ الأمانة ، وعكس ذلك يكون سلوكه صادر عن مصلحته الشخصية ، إنه لا يعامل الناس بأمانة ، ولكن من أجل رواج تجارته وزيادة ربحه . هذا السلوك لم يصدر عن إحساس بالواجب . (٤٩)

ويرى كانط أن فكرة الواجب هي الأساس ، وليس المنفعة أو الفائدة من العمل الأخلاقي، فإذا قام الإنسان بعمل طيب كالإحسان يجب أن يكون بعيداً عن المنفعة ويقول : " الإحسان ، حيثما استطاع الإنسان ، واجب ، وهناك بعض النفوس التي بلغ بها العطف مبلغاً يجعلها تجد المتعة الباطنة في إشاعة السرور حولها واللذة في رضا الغير ، طالما كان فعلاً من أفعالها ، دون أن يدفعها إلى ذلك دوافع من غرور أو أثره . غير أنني أزعج أن مثل هذا الفعل ، مع مطابقته للواجب واستحقاقه للثناء لا ينطوي على قيمة أخلاقية " . (٥٠)

وإن فكرة الواجب ليست من إبتكار كانط ، بل لها جذور في الفلسفة اليونانية والرواقية بالتحديد ، إذ ربطوا الواجب بالقانون . " كان الرواقي يرى أن الحياة الخيرة ، التي ينبغي لكل حكيم أن يسعى إلى أن يحيها ، هي تلك التي يتحدد بها واجب الإنسان على أساس قانون الطبيعة أو النظام العقلي للكون .. أو العقل الكلي " . (٥١)

### ثالثاً : نقد الحكم الجمالي :

لم تكتمل دائرة التفكير النقدي لكانط في كتابيه النقيدين : " نقد العقل المحض " ملكة المعرفة و " نقد العقل العملي " ومجال فاعليتها هي الأخلاق ، إلا بكتابه " نقد ملكة الحكم " عام ١٧٩٠ الذي ناقش فيه قضية الجمال . هذا وإن كانط سبق وكتب كتاباً في عام ١٧٦٤ عن المسائل الجمالية وعنوانه : " ملاحظات عن الشعور بالجميل والجليل " . وقد اقتصر بحثه في هذا الكتاب على الطابع التجريبي ولم يكن منهجياً منظماً .

كان كانط يريد إخضاع " الحكم النقدي للجمال ، لمبادئ عقلية ، والوصول إلى النقد للحكم إلى مرتبة العلم " . (٥٢)

جاء كتاب كانط " نقد ملكة الحكم " بعد استيعابه للتراث الفلسفي الأوروبي في زمانه ، لاسيما أفكار : ليبنتز ، وهيوم ، وديكارت ، وروسو ، وبومغارتن (٥٣) وغيرهم ، ويعد كتاب "الأستاطيقا" ١٧٥٠ لبومغارتن رائداً للجماليات الحديثة . هذا وان كانط كان أيضاً متأثر كثيراً بـ مندلسون ( ١٧٢٩ - ١٧٨٦ ) ، ويعد قراءته له خرج عن دوجماتيقيته ، فأسس لنظرية شاملة .

يهدف كانط إلى إيجاد شروط أولية للحكم الجمالي على أسس نقدية كما فعل في النقادين الآخرين في العلم والأخلاق . واعتبر الجمال مستقلاً عن التجربة الجمالية التي ترد الإحساس الجمالي إلى خارجه . اتبع كانط " المنهج الترنسندنتالي (٥٤) الذي طبقه على المعرفة والأخلاق، طبقه كذلك على فكرة الجمال من أجل الكشف عن الشروط الأولية للحكم الجمالي . والحكم الجمالي " قبلي " ، وهو مبدأ ذاتي لا يعتمد على طبيعة الموضوع الخارجي بل يستمد تذوقه من الذات .

والحس الجمالي يوجد قبلياً وأنه يعتمد في الحكم الجمالي على الإنسجام بين الإدراك والخيال وهو فعل حر ، وعنه ينتج الشعور باللذة .

والحكم الجمالي " قد يحتوي على الشروط الذاتية العامة للمعرفة بوجه عام . والإحساس هو الأساس المحدد لمثل هذا الحكم . بيد أن هناك نوعاً واحداً فريداً مما يسمى بالإحساس لا يمكنه أن يصبح مفهوماً لموضوع ، وذلك هو الشعور باللذة والألم . وهذا الإحساس ذاتي خالص ، في حين أن جميع الإحساسات الأخرى يمكن أن تستخدم في المعرفة . وهكذا فإن الحكم الجمالي هو ما يكمن أساسه المحدد في إحساس يرتبط ارتباطاً مباشراً بالشعور باللذة والألم " . (٥٥)

وملكة الشعور باللذة والألم هي ملكة خاصة بملكة الحكم تتضمن هاتين الملكتين ( ملكة المعرفة وملكة الأخلاق ) وهي تعتمد على مبدأ الغرضية (٥٦) وتكون فعاليتها بالفن والجمال.(٥٧)

### الجميل والجليل عند كانط :

كيف يحكم كانط على الجميل والجليل بالمعنى الاستطريقي ( الجمالي ) ؟

أولاً : يعتمد كانط في الحكم الجمالي على الذات ، فالذوق هو معيار الحكم بقبول الفكرة أو عدم قبولها ، دون غرض أو منفعة .

ثانياً : الطابع الكلي : أي دون تصور العقل للحكم الجمالي بصورة سلبية .

ثالثاً : لا يعتمد الحكم على الجميل على التصور العملي .

رابعاً : يؤكد أن الحكم الجمالي يعتمد على غاية بطبيعته دون منفعة أو تصور عقلي . والغاية

هي التناغم بين الملكات .

وبهذا فإن الجميل والجليل عند كانط ذاتيان لا يتصلان بالحسية أو بالمنفعة : " يتوافق الجميل والجليل في أن كليهما يسير لذاته . زد على ذلك أن كليهما لا يفترض مسبقاً حكماً حسيّاً ولا حكماً محدداً منطقياً ، بل حكم تأمل .. " ( ٥٨ )

إن الجميل والجليل عند كانط متشابهان من حيث مكنن الجمال ، إلا أن هناك فارق بينهما ، فالجميل يتصف بالنظام ، والجليل يتصف بالإضطراب . والنظام بالنسبة للجميل : النهار ، والحدائق المتناسقة مثلاً ، والإضطراب بالنسبة للجليل : الليل ، والعواصف . ( ٥٩ )

وتختلف اللذة بين الإثنين " إن الجميل يحمل معه مباشرة شعوراً بالسمو بالحياة ، وبالتالي فهو يتساوق مع الإفتتان والخيال الذي يلعب ويمرح ، بينما يكون الشعور بالجليل لذة لا تنبثق إلا على نحو غير مباشر ، تحديداً لأنها تتولد من الشعور بتوقف مؤقت للقوى الحيوية يتبعه مباشرة انهماج وانصباب أقوى لها ؛ وهكذا كأنفعال لا تبدو لعباً بل هي شيء جدي في فعالية الخيال . ( ٦٠ )

والجليل كذلك يشبه الجميل من حيث ارتباطه باللذة ، فهو يرتبط مع الشعور باللذة غير المباشرة ، وذلك في أعقاب الصدمة ، فعندما يقوم العقل بإدراك الجليل للأشياء غير المحدودة أو الضخمة . والجليل عندما يصدم جهازنا الحسي يولد شعوراً بالإشمئزاز وعدم الإرتياح ، وشعور بالعجز ، ولكن لا يلبث هذا الشعور عندما يتدخل العقل المحض أن ينقلب إلى شعور باللذة .

واللذة الجمالية تنتج من الإنسجام بين وظائف مشتركة في إصدار الحكم هي : المخيلة ، والفهم ، والعقل . وإن التآزر أو الإنسجام في حالة اللذة تشمل كل إنسان ، على الرغم من أنها ذاتية ، ذاتية لكل إنسان ، موجودة بين كل الناس . فالحكم الجمالي يعتمد على أسس قبلية تصلح لجميع الناس . ( ٦١ ) والشيء الذي يدعي جميلاً يأتي عندما تكون هناك " مشاركة وجدانية " ، بين الذات مع ملكة الإدراك أو الفهم ، وعندما ينشأ انسجام بين الإثنين يؤدي ذلك الإنسجام إلى إيقاظ الشعور باللذة .

في رأي كانط أن لدى الإنسان ملكة " فوق الحس " داخل نفوسنا تثير فينا الشعور بالجميل والجليل لا تعتمد على الحسية ، لكن الجليل هو شعور يحاول دائماً أن يتجاوز ما هو كامن في الفكرة الواقعية ، لأن لدينا ملكة فوق الحس كما ذكرنا . وإن الجليل يعني تجاوز طاقة ملكة الإدراك الحسي ، وبالتالي يقترب من أفكار الأمر المطلق التي تتخطى التجربة . ( ٦٢ )

## الخاتمة

النقد أساس في العلوم الإنسانية ، فلا يمكن الإستغناء عنه سواء في الفلسفة أو الأدب أو الفن والتاريخ ... إلخ ولقد طبق كانط منهجه النقدي على الفلسفة فتناول نظرية المعرفة ، والأخلاق ، والفن ، والميتافيزيقا ، وقد وصلت فلسفته النقدية إلى النضج في كتابيه : نقد العقل المحض ، ونقد العقل العملي .

ويمكننا أن نذكر نتائج البحث مع الإشارة إلى بعض الآراء الأساسية في فلسفة كانط والتي أظهر العلم تهافتها .

أولاً : نقد كانط للميتافيزيقا التقليدية التي تتصف " بالقطعية " وهي التي تدعي المعرفة بما وراء العالم المادي ، وإنها تعبر عن أفكار يقينية بصورة قطعية . وإنه جاء بفكرتي الزمان والمكان الفطريتين وهما فكرتان ميتافيزيقيتان بواسطتهما تتم معرفة الأشياء وبدونهما لا يمكن تحقيق ذلك . وبعد أكثر من قرنين على فلسفة كانط أثبت العلم أن المعرفة نسبية وتم تعريف المكان والزمان والمادة على أسس علمية بموجب النظرية النسبية لأينشتاين .

ثانياً : نقد كانط الأخلاق العملية ، ووضع لها قانون الإرادة المرتبط بالضمير ، وبموجب هذا القانون يخضع السلوك بما يشبه العلة والمعلول ، فالإرادة تخضع للعقل ، وهو الأمر الذي يشبه قوانين الطبيعة عندما نقول " النار تحرق " النار علة والمحروق معلول ، هذا قانون ، كلما قمنا بالتجربة نجد ارتباط العلة بالمعلول ، هكذا أراد كانط أن تكون الأخلاق ، فالقانون الأخلاقي ينطبق على السلوك الإنساني . في حين أن الفلسفة المعاصرة والعلم المعاصر أثبتا أن القيم الأخلاقية خاضعة لظروف الزمان والمكان وإختلافهما . وهي نسبية .

ثالثاً : نقد كانط للميتافيزيقا من أجل أن يجعل الميتافيزيقا " علماً " يشبه الرياضيات والفيزياء ، أي يقيم الميتافيزيقا على أسس علمية ، لتأثره بنيوتن في تجاربه العلمية . ونستطيع أن نقول أن مشروعه النقدي في هذه الناحية لم يتم بل لم يستطع أن يقيم علماً للميتافيزيقا ، على الرغم من الجهد الذي بذله في هذا المجال .

وعلى أية حال ، فإن جهود كانط تتركز - في رأينا - في منهجه النقدي في حد ذاته وليس في تطبيقاته في مجال الزمان والمكان أو بمحاولة إيجاد علم للميتافيزيقا - كما أسلفنا . ونقصد أن كانط في إشاعته لمنهج النقد في الفلسفة كان له أثر كبير على الفلسفة إلى يومنا هذا .

## الهوامش

١. الثورة الكوبرنيكية : توصف " الفلسفة النقدية " لكانط بالثورة الكوبرنيكية كالتي أحدثها كوبرنيكوس في علم الفلك إذ اكتشف عام ١٥٢٠ أن الأرض كوكب يدور حول الشمس كالكواكب الأخرى ، خلافاً للفكرة القديمة عن الأفلاك القائلة - منذ عصر بطليموس - أن الأرض مركز الكون . تغيرت هذه النظرة إلى الكون بعد أن استمرت إلى العصور الوسيطة . إن النظريات الجديدة التي قدمها كوبرنيكوس وجاليلو ونيوتن تختلف تماماً عن آراء الفلاسفة المدرسين . وهكذا أطلق كانط إسم " الثورة الكوبرنيكوسية " على فلسفته الجديدة . أقام كانط ثورة منهجية سماها ثورة كوبرنيكوس في مجال الفلسفة . إذ أراد أن يقيم الفلسفة ، والميتافيزيقا خصوصاً ، على أساس علمي ، وذلك من خلال نقد العقل . إذ يرى كانط أن عصره عصر النقد ، أي عصر تكون فيه جميع المعتقدات والأفكار في امتحان العقل . وهو عصر الرفض للميتافيزيقا وعدم القبول بمزاعم العقل ، لأن العقل غير قادر على اختراق مملكة الميتافيزيقا . وإذا أردنا خلاصاً للميتافيزيقا فلا بد من تقديم العقل نفسه للنقد . ومن أجل الوصول إلى محاولة جدية ومثمرة لا بد من ثورة منهجية ثورة كتلك التي قامت بها الفيزياء عندما أدرك الفيزيائي أن العقل لا يرى سوى ما يحدثه هو حول الظاهرة . وأن يتقدم بمبادئه فيرغم الطبيعة على الإجابة على أسئلته .
٢. عمانوئيل كانط : نقد العقل المحض ، ترجمة موسى وهبة ، مركز الإنماء القومي ، ط٢ بيروت ، لبنان ، ص٣٥٨.
٣. المصدر نفسه ، ص٣٦٣.
٤. الكانطية الجديدة : New - Kantism مدرسة فلسفية ظهرت في ألمانيا متأثرة بفلسفة عمانوئيل كانط بين عامي ١٨٧٠ - ١٩٢٠ . وتسمى هذه المدرسة " النقدية الجديدة " ، التي تدعو الرجوع إلى فلسفة كانط لإشاعة الروح العلمية والوقوف بوجه النزعة الطبيعية والمادية واللاعقلية . وتسمى بالنقدية الجديدة لأنها اتبعت نهجاً نقدياً جديداً أحييت به منهج وفلسفة كانط . وقد اتخذت الكانطية الجديدة موقفاً نقدياً من الفلاسفة الذين عاصروه أو جاءوا بعده أمثال : فخته ( ١٧٦٢ - ١٨١٤ ) ، وشلنج ( ١٧٧٥ - ١٨٥٤ ) ، وهيغل ( ١٧٧٠ - ١٨٣١ ) ، إذ قد أضيفت كثير من الأفكار لفلسفة كانط بسبب الظروف التي مرت عليها في ألمانيا وأوروبا . وقد جاءت تسمية المدارس الكانطية الجديدة من المدن التي نشأت فيها : ١- مدرسة ماريورغ ( كوهن ، ناتورب ، كاسيرر وغيرهم ) ٢- مدرسة بادن ( ويندلباندي ، ريكتر ، وغيرها ) ، وقد أصدرت هذه المدارس مجلات فلسفية تدور حول الإتجاهات الكانطية المختلفة وأحياناً المتناقضة . وقد تركزت دراسات هؤلاء ونقدتهم على أهم القضايا التي جاء بها كانط : نظرية المعرفة والميتافيزيقا . وقد انقسم هؤلاء حول فكرة " الشيء بذاته " ، فقد رفضها فخته واعتبرها لا - فكرة ، أما شلنج فقد قال : " إذا كان الشيء بذاته شيئاً فهو ليس بذاته ، وإن كان بذاته فهو ليس بشيء . إن هيغل اعتبره كريدف للمطلق الذي هو كل شيء فيه واحد . وفي الميتافيزيقا اختلف الكانطيون الجدد فجاءت آراؤهم متضاربة .
٥. محمد نور الدين أفاية : الفلسفة النقدية ، الموسوعة الفلسفية العربية ، تحرير معن زيادة ، معهد الإنماء العربي ، ط١ ، ١٩٨٨ ، ص ١٣٩٢ .
٦. عبد الرحمن بدوي : موسوعة الفلسفة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ج٢ ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٤ ، ص٤٩٦ .

٧. زكي نجيب محمود : خرافة الميتافيزيقا ، مكتبة النهضة المصرية ، مصر ، ١٩٥٣ ، ص ٥٩ .
٨. عبد الرحمن بدوي : موسوعة الفلسفة ، ج ٢ ، ص ٤٩٦ .
٩. كانط ، نقد العقل المحض ، ترجمة موسى وهبة ص ٥٣ .
١٠. محمود رجب : الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، ١٩٧٠ ، ص ٢٠ .
١١. جماعة من الفلاسفة الإنجليز المعاصرين : طبيعة الميتافيزيقا ، ترجمة كريم متي ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٦٨ ، ص ١٢٢ - ١٢٣ .
١٢. المرجع نفسه ص ١٢٣ .
١٣. المرجع نفسه ، ص ١٢٤ .
١٤. كانط : نقد العقل المحض ، ترجمة موسى وهبة ، ص ٥٣ .
١٥. المصدر نفسه ، والصفحة .
١٦. المصدر نفسه ، ص ٥٢ .
١٧. إبراهيم بيومي مذكور ، ويوسف كرم : دروس في تاريخ الفلسفة ، وزارة المعارف ، مصر ، ص ٢١٢ .
١٨. كانط : نقد العقل العملي ، ص ٤٥ .
١٩. إبراهيم بيومي مذكور ، ويوسف كرم : دروس في تاريخ الفلسفة ، ص ٢١٣ .
٢٠. محمود رجب : الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ، ص ٢٥ .
٢١. المرجع نفسه ، ص ٢٦ .
٢٢. عمانوئيل كانط : نقد العقل المحض ، ترجمة موسى وهبة ، ص ٥٢ .
٢٣. محمود رجب : الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ، ص ٢١٣ .
٢٤. زكي نجيب محمود : خرافة الميتافيزيقا ، ص ٤٤ .
٢٥. المرجع نفسه ، ص ٤٧ .
٢٦. كانط : نقد العقل المحض ، ص ٧٠٤ .
٢٧. محمود رجب : الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ، ص ٢٧ .
٢٨. ول ديورانت : قصة الفلسفة ، ترجمة فتح الله محمد المشعشع ، مكتبة المعارف ، لبنان ، بيروت ، ط ٤ ، ١٩٨٢ ، ص ٣٣٣ .
٢٩. عمانوئيل كانط : نقد العقل المحض ، ترجمة موسى وهبة ، ص ٤٥ .
٣٠. المصدر نفسه ، ص ١٣٥ .
٣١. المصدر نفسه ، ص ٤٥ .
٣٢. برتراند رسل : حكمة الغرب " الفلسفة الحديثة والمعاصرة " ، ترجمة فؤاد زكريا ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ٢٠٠٩ ، ص ١٣٨ .
٣٣. ول ديورانت : قصة الفلسفة ، ترجمة فتح الله محمد المشعشع ، ص ٣٣٥ .
٣٤. المرجع نفسه ، والصفحة .
٣٥. المرجع نفسه ، والصفحة .
٣٦. كانط : نقد العقل المحض ، ترجمة موسى وهبة ، ص ٤٥ ،

٣٧. إبراهيم بيومي مذكور ، ويوسف كرم : دروس في تاريخ الفلسفة ، ص ٢١٥ .
٣٨. عمانوئيل كانط : نقد العقل المحض ، ترجمة موسى وهبة ، ص ١٨٧ .
٣٩. جان جاك روسو : (١٧١٢ - ١٧٧٨) ، فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي . أبرز آثاره : خطاب في عدم المساواة ١٧٥٥ . العقد الاجتماعي ١٧٦٢ . إقرارات ١٧٩٠ .
٤٠. العودة إلى الطبيعة : يرى روسو أن حالة الإنسان الطبيعية هي أسعد حالاته جميعاً . ويعني روسو هنا الإنسان في فطرته ، وليس المقصود الطبيعة الخارجية ، وأن هذه الحالة قد تلاشت تحت ضغط ظروف تلاشت معها حرية الأفراد والمساواة التي كانت سائدة فيما بينهم . لقد جرى هذا التحول لتطور تاريخي يتمثل في وضع قوانين حق الملكية ، ( خلقت الفقراء والأغنياء ) ، وإقامت المحاكم ( خلقت الضعفاء والأقوياء ) وإيجاد سلطة الحكم ( خلقت العبيد والأسبياد ) . يعلم روسو أن بعث حالة الإنسان الطبيعي أمر مستحيل ، لكنه رأى الخلاص يتم عن طريق " العقد الاجتماعي" . وذلك ببناء هذا المجتمع على " عقد " أو ميثاق إجتماعي ، أي إلتزام شرعي يتضمن تنازل الفرد عن شخصيته وعن جميع حقوقه لمجتمعه تحت تصرف إدارة الإرادة العامة ، فإن لم يفعل هو حر توجب عليه أن يبحث عن جو آخر يلائم رغباته أما الراغبون فإنهم سوف ينعمون بفوائده . وعلى الرغم من خضوعهم للشرائع والقوانين يظلون أحراراً لأن الإرادة العامة هي التي تسن هذه الشرائع ، ولأن المواطنين قرروا بملء إرادتهم أن ينظروا إلى الشريعة نظرتهم إلى ما هو صادر عن إرادتهم . فإنهم أن خضعوا فإنهم يخضعون لأنفسهم .
٤١. إبراهيم بيومي مذكور ، ويوسف كرم : دروس في تاريخ الفلسفة ، ص ٢١٧ .
٤٢. كانط : تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق ، ترجمة وتقديم عبد الغفار مكاي ، منشورات الجمل ١٩٦٣ ، ص ٢٦ .
٤٣. كانط : نقد العقل العملي ، ترجمة غانم هنا ، المنظمة العربية للترجمة ، ط ١ ، لبنان ، بيروت ، ٢٠٠٨ ، ص ١٣١
٤٤. أوفي شولتز : كانط ، ترجمة أسعد رزوق ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٥ ، ص ١٥٨ .
٤٥. كانط ، نقد العقل العملي ، ترجمة غانم هنا ، ص ٤٤ .
٤٦. توفيق الطويل : الأخلاق ، نشأتها وتطورها ، دار النهضة العربية ، ط ٣ ، مصر ، ١٩٧٦ ، ص ٣٩٠ .
٤٧. كانط : نقد ملكة الحكم ، ترجمة سعيد الغانمي ، ط ١ ، منشورات الجمل ، ٢٠٠٩ ، ص ٤٥ - ٤٦ .
٤٨. كانط : تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق ، ترجمة وتقديم عبد الغفار مكاي ، ص ٣٨
٤٩. إمام عبد الفتاح إمام : فلسفة الأخلاق ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، دون تاريخ ، ص ١٨١ .
٥٠. كانط : تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق ، ترجمة وتقديم عبد الغفار مكاي ، ص ٤٦ - ٤٧ .
٥١. هنتر ميد : الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ، ترجمة فؤاد زكريا ، مكتبة الإنجلو المصرية ، ط ٧ ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ٢٩١ .
٥٢. أوفي شولتز : كانط ، ص ١٨٠ .
٥٣. بومغارتن A.G. Baumgartne ١٧٦٢ مفكر ألماني . صاحب كتاب "الأستطيقا" *Aesthetics* . وهو تلميذ وُلّف . ويرى أن علم الجمال مقابل علم المنطق، وهو معبر عن كمال المعرفة الحسية . وهو أول من استخدم علم الجمال "أستطيقا" (توفيق الطويل : أسس الفلسفة ، ص ٤٨٤) .
٥٤. التعالوي ( ترنسندنطالية ) *Transcendent* : مصطلح من أصل لاتيني معناه تجاوز ، تعدي . كانت المذاهب المدرسية اللاهوتية تدل به على أعم خصائص الوجود أي ما يوجد وراء التجربة ( الواحد ، الحق ، الخير .. ) .

وهذه الخصائص متعالية على الحس ، لا يمكن معرفتها بالتجربة إنما بالحدس ، وعندما جاء كانط أعطى " الترنسندنتالية " مدلولاً جديداً ، فرأى أن هذا المصطلح ينطبق على وعي الإنسان ، فالوعي الترنسندنتالي موجود لدى كل الناس ، ووجوده قبلي **A priory** أي سابق على التجربة ( فطري ) ، مثل فكري المكان والزمان بواسطتهما يمكن أن تكون التجربة ممكنة .

٥٥. كانط : نقد ملكة الحكم ، ترجمة سعيد الغانمي ، ص ٥٤ .

٥٦. الغرضية : مثل وظيفة الحجر . وهذا حكم غرضي صحيح لا يقبل الشك ، فالإنسان يستخدم الحجر كمادة في البناء ، هنا يكون الإستخدام غرضي وليس غاية . والغرضية عكس الغاية فالغاية لا غرض وراءها فهي ميتافيزيقية ، ما وراء الحواس ، فهي إحساس ذاتي ذهني ليس بالضرورة أن يكون منها فائدة مباشرة للإنسان مثل الغرضية . ( كانط : ملكة الحكم ، مقدمة المترجم ص ١٥-١٦ )

٥٧. كانط : نقد ملكة الحكم ، مقدمة المترجم ، ترجمة سعيد الغانمي ، ص ١٢-١٣ .

٥٨. المصدر نفسه ، ص ١٧٠ .

٥٩. سامي عون : الجمالية ، الموسوعة الفلسفية العربية ، ص ٤٦٥ .

٦٠. كانط : نقد ملكة الحكم ، مقدمة المترجم ، ترجمة سعيد الغانمي ، ص ١٧١ .

٦١. أوفي شولتز : كانط ، ص ١٨٩ .

٦٢. أوفي شولتز : كانط ، ص ١٩٤ .

## المصادر

١. هنتر ميد : الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ، ترجمة فؤاد زكريا ، مكتبة الإنجلو المصرية ، ط ٧ ، القاهرة، ١٩٨٦ .
٢. إمام عبد الفتاح إمام : فلسفة الأخلاق ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، دون تاريخ .
٣. عمانوئيل كانط : نقد ملكة الحكم ، ترجمة سعيد الغانمي ، ط ١ ، منشورات الجمل ، ٢٠٠٩ .
٤. توفيق الطويل : الأخلاق ، نشأتها وتطورها ، دار النهضة العربية ، ط ٣ ، مصر ، ١٩٧٦ .
٥. أوفي شولتز : كانط ، ترجمة أسعد رزوق ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٥ .
٦. عمانوئيل كانط ، نقد العقل العملي ، ترجمة غانم هنا ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط ١ ، لبنان ، بيروت ، ٢٠٠٨ .
٧. عمانوئيل كانط : تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق ، ترجمة وتقديم عبد الغفار مكاي ، منشورات الجمل ، ١٩٦٣ .
٨. برتراند رسل : حكمة الغرب " الفلسفة الحديثة والمعاصرة " ، ترجمة فؤاد زكريا ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت، ٢٠٠٩ .
٩. ول ديورانت : قصة الفلسفة ، ترجمة فتح الله محمد المشعشع ، مكتبة المعارف ، لبنان ، بيروت ، ط ٤ ، ١٩٨٢ .

١٠. إبراهيم بيومي مدكور ، ويوسف كرم : دروس في تاريخ الفلسفة ، وزارة المعارف ، مصر .
١١. محمود رجب : الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، ١٩٧٠ .
١٢. جماعة من الفلاسفة الإنجليز المعاصرين : طبيعة الميتافيزيقا ، ترجمة كريم متي ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٦٨ .
١٣. محمد نور الدين أفاية : الفلسفة النقدية ، الموسوعة الفلسفية العربية ، تحرير معن زيادة ، معهد الإنماء العربي ، م ٢ ، ط ١ ، ١٩٨٨ .
١٤. عبد الرحمن بدوي : موسوعة الفلسفة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ج ٢ ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٨٤ .
١٥. زكي نجيب محمود : خرافة الميتافيزيقا ، مكتبة النهضة المصرية ، مصر ، ١٩٥٣ .
١٦. عمانوئيل كانط : نقد العقل المحض ، ترجمة موسى وهبة ، مركز الإنماء القومي ، ط ٢ بيروت ، لبنان .